العنوان:	أثر استعمال العامية في التدريس على مستوى الطلاب
المصدر:	بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية
الناشر:	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
المؤلف الرئيسي:	ابن تنباك، مرزوق بن صنيتان
المجلد/العدد:	مج 1
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1995
مكان انعقاد المؤتمر:	الرياض
الهيئة المسؤولة:	كلية اللغة العربية . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الشهر:	أكتوبر
الصفحات:	284 - 299
رقم MD:	41633
نوع المحتوى:	بحوث المؤتمرات
قواعد المعلومات:	AraBase, EduSearch
مواضيع:	إدارة الفصل، المعلمون، اللغة العربية، الكفايات التربوية، طرق التدريس، العامية، التحصيل الدراسي، النمو اللغوي، الفصحى، تدريس اللغة العربية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/41633

© 2023 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

www.mtenback.com

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

ابن تنباك، مرزوق بن صنيتان. (1995). أثر استعمال العامية في التدريس على مستوى الطلاب.بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية، مج 1 ، الرياض: كلية اللغة العربية . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 284 - 299. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/41633

إسلوب MLA

ابن تنباك، مرزوق بن صنيتان. "أثر استعمال العامية في التدريس على مستوى الطلاب." في بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية الرياض: كلية اللغة العربية . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مج 1 (1995): 284 - 299. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/41633

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

© 2023 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

www.mtenback.com

أثر استعمال العامية في التدريس على مستوى الطلاب

أ . د . مرزوق بن صنيتان بن تنباك
الأستاذ بكلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

أثر استعمال العامية في التدريس على مستوى الطلاب

موضوع هذه الورقة هو أثر استعمال العامية في التدريس على مستوى الطلاب، والمدرسين وقدرتهم على تحصيل اللغة، وسنحاول بيان حاضر اللغة العربية الفصحى الذي تعيشه في بلادها وعلى ألسنة أهلها وهو التجافي عنها والميل إلى العامية والتحدث بها في كل مكان في البيت وفي الشارع وفي العمل وفي صالات الدرس وفي قضايا الحياة عامة وسيطرة هذه العامية على مدارك النشء واهتمامهم بها.

ولاشك أن الجميع يعرفون الواقع الذي يعانيه المدرسون في كل مراحل التعليم. ويعانيه الطلاب أيضاً، وهو شدة الضعف عند ممارسة اللغة العربية الفصحى أو الاقتراب منها عندما يحاول ذلك المدرس قبل طلابه. وشدة الضعف الذي يعتري سليقة الطلاب عندما يتكلمون الفصحى وقلة تحصيلهم في كل مراحل الدراسة من العربية الفصحى. وعن هذين الحالين حال المدرس وحال الطالب وظاهرة الضعف الظاهر عليهما اخترت موضوع هذه الورقة محاولاً بيان حاضر اللغة العربية، والدور المعرفي الذي كان لها في الماضي. وكلنا أمل ورجاء أن يكون لها في المستقبل القريب مثلما كان لها في الماضي البعيد من قوة وحضور على ألسنة أهلها وفي بلادها وبين الأقوام الذين يتكلمونها.

نعلم أنه مذ بدأت حركة التنوير كما يقول المؤرخون للنهضة التعليمية الحديثة في البلاد العربية واللغة الفصحى ذاتها ومكانتها ومناهج تعلمها وواقعها في بلادها موضع للنظر ومجال للشكوى من غربة اللسان العربي الفصيح وضعفه مع ماله من مكانة تاريخية وماضٍ مجيد، وقدرة حية صالحة لكل زمان ومكان، وقد تكررت الشكوى شعراً ونثراً ومن ذلك قول الأستاذ سليمان التاجي الفاروقي في مطلع هذا القرن:[1]

العرب لاشقيت في عهدك العرب سيوف ملكك والأقلام والكتب

(١) من حاضر اللغة العربية، ص ٤٤.

www.mtenback.com

وكل خير أتى فالعرب مصدره ... بل أي فضل أتى لم تحوه العرب
لسانهم أخلق الإهمال جدته ... فبات ينعى على الكتاب ماكتبوا
تمشّت اللهجة العجماء فيه إلى ... أن أنكرته بنوه الخلص النجب

ولم تنقطع الشكوى منذ ذلك الحين وتوالت الصيحات التي تنذر بالخطر وتنادي بالمحافظة على سلامة اللغة العربية الفصحى وتنقيتها من اللحن والخطأ وتحاول البعد بها عن مهاوي العامية واللكنة التي تضعف سلاسة القول وتفسد جمال الذوق، وتجني عليها وعلى أهلها ويلات العجمة وطلاسم اللهجات واللغيات المبعثرة وتجور في حق اللغة العربية الفصحى كما قال الشاعر فؤاد الخطيب محذراً مما يواجه الأمة في لسان دينها ومصدر ثقافتها وموئل منعتها وعزتها[1] .

جاروا على لغة القرآن فانصدعت ... له القلوب وضجّ البيت والحرم
فالقدس باكية، والشام شاكية ... وفي الحجاز يكاد الركن ينحطم
والشرق يضؤل والأهواء تحزبه ... فليت شعري أعرب فيه أم رمم

كل ذلك كان في بدء النهضة العربية الحديثة. وفي أول الاتجاه الكلي إلى التعليم الشامل ونشر المدارس العصرية في الوطن العربي وكان الأمل هو أن انتشار التعليم سيقضي على مصادر الضعف والأمية والجهل المزمن في بلاد العرب فتنتهي أسباب الشكوى وتقوى العربية الفصحى وتستعيد ماضيها الخالد بحاضرها الزاهر الذي يرجوه المحبون لها، وأن كل مدرسة تفتح ستصبح إشعاعاً للعربية الفصحى، وأن كل جيل يتخرج سيصبح أقوى من سابقه، وأقدر على الإمساك بزمام العربية الفصحى وقيادة ناصية البيان الرائع في لغته الخالدة. وقد انتشر التعليم في عرض البلاد العربية وطولها، والتحقت به أجيال متتابعة من أبناء العرب، وتخرج من المدارس والجامعات مئات الآلاف من حملة الشهادات الجامعية وما دون ذلك من أنواع التأهيل العلمي. ولكن اللغة العربية الفصحى مازالت موضع نظر ومحط سؤال ومصدر خوف وترقب، وكلما كثر الدارسون في المدارس والجامعات وكثر المتخرجون منها زاد الخوف من ضعف صلة هذه الأفواج من الخريجين بلغتها وبثقافتها وزاد الوجل والترقب من قدرة الأعداد

(١) من حاضر اللغة العربية، ص ٤٩.

www.mtenback.com

الكبيرة والكثيرة التي تخرجها الجامعات والمعاهد ومؤسسات التعليم الشامل على فهم اللغة وممارستها الصحيحة للسان العربي المبين.

وأصبح أغلب الأفواج التي تحمل شهادات التخرج لاتقيم لسانها الفصيح ولغتها الأصيلة، وأحياناً تتنكب عنها وتنبذها وراءها ظهرياً. ومن دوافع الغيرة على مستقبلنا المعرفي ومستقبل أجيالنا نهض أكثر من سؤال وقامت أكثر من علامة استفهام بارزة تشير إلى ما آل إليه تدريس اللغة العربية الفصحى من ضعف. وتتابعت الندوات والمؤتمرات في أكثر من مكان وزمان، تناقش ظاهرة الضعف الذي يعتري قدرات أبناء العربية في فهم لغتهم وقدمت دراسات كثيرة عن هذه الظاهرة الشاملة، وقد حاول كل مجتهد أن يطرح رأياً أو أكثر من رأي لعله يجد سبباً أو يهتدي إلى علاج ناجع. ولم تغفل الدراسات الكثيرة حال مدرسي اللغة وقدرتهم في تقريب اللغة إلى الطلاب أو العكس من ذلك. وما هذه الندوة التي تنعقد في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وفي كلية اللغة العربية إلا واحدة من المحاولات الجادة التي ستناقش اللغة العربية الفصحى ومناهج تعليمها وطريقة عرضها وقدرة مدرسيها، وتأهيلهم ومحاولة مساعدتهم، فيما يرفع من كفاءتهم، ويزيد من إنتاجيتهم.

وهنا لابد من العودة إلى اللغة العربية التي تعيش اليوم واقعاً معزولاً عن وظيفتها، يشبه واقع العرب والمسلمين الذي يعيشونه في سنواتهم الأخيرة، وتمر بظروف مؤثرة فيها وتجتاز عقبات وعثرات كثيرة لا أظنها مرَّت بمثلها من قبل، وتواجه مشكلة تعد من أخطر المشكلات التي تواجه المربين والمعلمين والمسؤولين عن تنشئة الأجيال. فقد كانت اللغة الفصحى وعاء للتراث العربي والإسلامي بمختلف موضوعاته من دين وثقافة وتاريخ وغير ذلك، فحفظت ماضي الأمة العربية والإسلامية كله. وعنها وفيها تلقينا الموروث الحضاري للعرب والمسلمين وفي مقدمة ذلك تعاليم ديننا وتراثنا على الرغم من أنها أمضت قروناً كثيرة وهي تقاوم مقاومة ذاتية تيار الأمية الجارف، وانطلاق عنان العامية في مجالات الحياة كلها، الخاصة والعامة، ومع ذلك بقيت الحصن الحصين والخيار الذي لابديل له ولاتفكير في سواه. وكان من لوازم الضعف والتخلف اللذين أصابا ثقافة الأمة وأثرا فيها وفي لغتها أن نضبت روافد المعرفة المتجددة

www.mtenback.com

وتجمدت حركة التعليم، فبقي الكتاب الخالد القرآن الكريم هو مشعل التنوير الصامد يقرؤه العرب المسلمون فتنطلق أقلامهم تحاكي رسمه وتنطق بلغته وتلتزم أسلوبه وتحاول التمسك بنصوصه حتى تحفظ منه مايزيل طوق الأمية الذي يحيط بها وبكل منشط من مناشط حياتها.

أما اليوم فإن الأمر بالنسبة لحال العرب والعربية مختلف كل الاختلاف فليس الشكوى من أمية الإنسان العربي ولاجهله أو حرمانه من معرفة الكتابة والقراءة كما كان ذلك حاله قبل سبعين عاماً أو تزيد. وإنما أصبحت اللغة العربية الفصحى تواجه تحديات جديدة ووضعا مختلفا وأول ملامح هذا التحدي:

مزاحمة اللغات الأجنبية للغة العربية في دارها وعلى ألسنة أبنائها الذين صار الكثير منهم يرغب عنها ويزهد في التفقه فيها ويكون جهده لتعليم غيرها. ويتوجه النشء وهم في سن مبكرة إلى لغات أخرى تزاحمها في مهدها وبين أبنائها فلا تنصرف هذه الفئة عن اللغة العربية وحبها فحسب بل تنصرف عن الثقافة العربية والإسلامية الصحيحة التي حوتها اللغة الفصحى منذ بدئها، وتصبح حصيلة أبنائها منها قليلة محدودة فلايستطيعون فهمها الفهم الصحيح الذي يمكنهم من مقاربتها وحبها ولا تنقاد على ألسنتهم أو يحيط بها فهمهم وتفكيرهم وعقولهم.

أما الأمر الثاني، فهو استمرار طغيان العامية على اللسان العربي والتفكير والثقافة الموروثة والمكتسبة على الرغم من كثرة الجامعات ووفرة خريجيها ولهذا الأمر أسباب عديدة أهمها:

أولاً ـ مناهج التعليم الحديث الذي تسير عليه خطط الدراسات الحديثة ويطبق في الجامعات العربية وهي مناهج تأخذ من كل علم بطرف فيتخرج طلاب هذه الجامعات بنتف قليلة من المعرفة وحظ أقل من اللغة العربية التي تبعدها مناهج التعليم عن مجال التفاعل الحي مع الدراسة الجامعية المؤثرة في المعرفة. فابتعد الطلاب الجامعيون في تخصصاتهم عن أقسام اللغة العربية وكلياتها وبعدوا عن أي علاقة لهم بلسان قومهم ولغتهم ودُرِّسوا موضوعات تخصصهم بلهجات عامية بعيدة عن

www.mtenback.com

الصـواب أو بلغات أجنبية فيتخرج هؤلاء من الجامعات ويمنحون الشهادات التي تقرر نجاحهم وهم أميون في اللغة العربية الفصحى وآدابها وثقافتها ولسانها.

ثانيا ـ أتت حاجة البلاد إلى انتشار التعليم العام وفتحت المدارس التي ابتلعت أعداداً هائلة من المدرسين لسد الحاجة وتحقيق رغبة الدولة في تعميم التعليم العام والتوسع الأفقي فيه فكان هؤلاء هم حملة الشهادات والمتخرجون من الجامعات أو من معاهد التأهيل ولايوجد غيرهم مما يضطر المسؤولين عن التعليم إلى تعيينهم في وظائف التدريس وهم ـ كما سلف ـ أميون في اللغة العربية وشبه أميين في الثقافة العامة. وفي هذا الحال اعتمد في التعليم على طاقم هائل من المدرسين أنصاف المثقفين وأشباه المتعلمـين واعتمـد عليهم أيضاً في تدريس اللغة العربية في كل المراحل. مع أن حصيلتهم العلمية ضئيلة لاتساعدهم في تنمية مهاراتهم اللغوية أو مهارات طلابهم الذين يأخذون عنهم أسس المعرفة الأولية وأهمها فنون اللغة نحواً وصرفاً وإملاءً.

ثالثاً ـ الوسط الاجتماعي والبيئة وهذا عامل حاسم في علاقة الناس اليوم باللغة الفصحى وعلاقتهم باللهجات العامية في كل البلاد العربية، بلا استثناء، فالعامية منتشرة انتشـاراً واسعـاً قائمـة على كل لسـان، يتحـدث بها الخاصة قبل العامة، والمتعلمون قبل غيرهم، ولايعد أحد استعمال العامي اليوم في كل مجالات الحياة منكراً أو ممنوعاً، بل إن القاعدة العريضة من الناس لايجدون حرجاً من الحديث بالعامية في كل المناسبات حتى في صالات الدرس. وارتكان العامية وانتشارها على ألسنة الناس خفف حدة الشعـور الـذي كان في السـابق يقـع في النفـوس إذا استعملت غير الفصحى. وأصبـح الأمـر شبه مقبول عندما يتحدث المتحدث بالعامية أو يخطب الخطيب بها أو يدرس المدرس. ولاشك أن استعمال العامية دون حرج يضعف ملكة اللسان ويحد من انطلاقه إلى رحاب الثقافة العربية الخصبة ويقيده في المحيط العامي حتى يستمرىء الإنسان ذلك، ويقع في ازدواج كبير بين العامية التي تأتي على لسانه طوعاً والفصحى التي يجب أن يستعملها في تعلميه وتدريسه، ويقع دون أن يشعر في التجـزئـة الممنـوعة في اللغة. فالنص الذي يَدرُسه ويُدرِّسه يكتب في العربية الفصحى والحديث

www.mtenback.com

يأتي على لسانه في العامية أو الدارجة، واللغة بطبيعتها «لاتتجزأ، لاتكون صالحة للآداب دون أن تكون صالحة للعلوم، ولاتكون صالحة في الشارع دون أن تكون صالحة في التعليم ولا تكون صالحة في المرحلة الابتدائية دون أن تكون صالحة في المرحلة الجامعية».[1]

وهذه التجزئة هي حال اللغة اليوم فهي تواجه ازدواجية كبيرة وتجزئة في المجال وفي التخصص. فالشارع والبيت استولت عليهما العامية منذ قرون وبقي لها التعليم ومجاله الرحيب إلى أن جاءت المناهج الحديثة بشمولية التعليم وجزأته إلى مراحل وتخصصات لايشبه بعضها بعضاً فحصرت اللغة العربية في مجال ضيق وأقسام محدودة وسمتها باسم أقسام اللغة العربية وجاءت بعشرات الأقسام والتخصصات في العلوم الإنسانية والطبيعية فأعفتها من استعمال اللغة العربية الفصحى فامتدت العامية إلى التعليم وإلى كل تلك التخصصات واحتلت مساحات هامة فيها، ما كانت تطمع العامية أن تصل إليها من قبل،ولكي أبين ماأقصد بهذه الفقرة فإن هناك جامعة أضربها مثالاً في قلب الجزيرة العربية فيها. ٣٧٠ ثلاثمائة وسبعون قسماً أكاديمياً منها قسم واحد تدرس فيه اللغة العربية وآدابها، وعليكم المقارنة وتحديد النسبة بل إن هناك ماهو أسوأ من ذلك هناك أكثر من جامعة من جامعاتنا العربية لايوجد فيها قسم واحد للغة العربية. وقد أصبحت لغة التعليم مقسمة إلى لغتين ليست اللغة العربية واحدة منهما، وإنما صارت لغة التعليم في الجامعات والمدارس العربية منقسمة إلى اللغات الأجنبية نصّاً وموضوعاً، أو إلى اللهجات العامية نصّاً في الحديث والمشافهة والحوار والإلقاء والسؤال والجواب بينما يبقى المكتوب باللغة العربية الفصحى مسطراً في مراجع الدراسة وكراريس الطلاب، وكل نصيب الفصحى هو الحد الأدنى من القراءة عندما يضطر الطالب أو مدرسه إلى أن يعود إلى النص المكتوب، فيقرأ منه موضع الشاهد أومجال الدرس. وقد تكون قراءته بين الفصحى والعامية أو في العامية في أغلب الأحيان. أما إذا وضع المدرس أو الطالب الكتاب من يده فإن لغته وحديثه ومحاورته سرعان مايعود ذلك كله إلى العامية والعجمة واللغة كما يحدد وظيفتها اللغويون[2] «ليست

(١) فلسفة اللغة. ص ٢٨٢.

(٢) اللغة والمجتمع. ، ص١٧.

www.mtenback.com

وسيلة للتفاهم أو للتوصيل،بل وظيفة اللغة هي أنها حلقة في سلسلة النشاط الإنساني المنتظم هي أنها جزء من السلوك الإنساني،إنها ضرب من العمل».

واللسان الذي يرتكن العامية ويتحدث بها ويملأ وجدانه بمفرداتها وجملها وتراكيبها وأشعارها وأمثالها وثقافتها أنى يكون له بعد ذلك نصيب من اللغة الفصحى أو حظ من جودة أساليبها وبيانها وبلاغتها وإيجازها الذي لايماثله إيجاز في غيرها من اللغات واللهجات.

واستعمال اللغة يعد مهارة واكتساباً يزكو باستعمال الفصيح كلما كثر تردد اللغة الفصحى على لسان المتكلم وأذن المستمع. كما أن قدرة متكلم اللغة تنمو نموّاً سريعاً كلما تعهدها الإنسان وحافظ على سلامتها من اللحن وبعُد بها عن شوائب العامية. ولاشك أن لغة التدريس يجب أن ترقى إلى مستوى اللغة الفصحى المؤثرة في المتلقي والفصيحة في الوقت نفسه أما استعمال العامية في التدريس والتحدث بها فيحول دون تنمية المهارة اللغوية الفصيحة ويقلل من شحذ السليقة ويؤثر في قدرة المتكلم تأثيراً سلبيّاً وهذا حال العربية اليوم.

ومن هذا الحال الذي حالت إليه اللغة العربية وحال إليه منهج التعليم نشأت معضلة اللغة مع مدرسيها وطلابها نتيجة اتصالهم المباشر بالعامية والحديث بها وبالكلام العامي الذي لاينقطع على ألسنتهم مما يحول ملكاتهم اللغوية عن الفصحى وعن آدابها وجمال عباراتها وسلاسة أسلوبها والتفقة في نحوها وصرفها إلى ملكات عامية ولهجات محلية متعددة، ومختلفة وضعيفة ركيكة، والعامية كما يعرف الجميع لينة لايبذل المتكلم فيها جهداً يذكر، وإنما ينطلق بها لسانه وتسبق على ملكاته اللغوية فيستعملها **عفوا الخاطر دون أن يشعر أنه يخالف قواعد كلامه أو يخطىء به، ولأن طبيعة** الإنسان تكره التحديد وتنفر من الانضباط الذي توجه اللغة المقننة فإن مدرسي التعليم العام والجامعي على حد سواء يهربون من قيود الفصحى وقوانين النحو فيجدون في العامية مندوحة تعوض النقص الذي يشعر به هؤلاء[1] «الضعفاء في التحصيل العلمي الذين أصبحوا يحملون شهادات تقرر نجاحهم من المدارس العامة

(١) الفصحى ونظرية الفكر العامي. ص ٩٦.

www.mtenback.com

والجامعات وتضعهم شهاداتهم ومراكزهم الوظيفية في صفوف المثقفين بينما هم لايستطيعون التعامل المتقن الذي يرضونه باللغة العربية، ولايستقيم لهم قياد اللغة ولايرضون عن واقعهم وأساليبهم في فهمها. فانحاز هؤلاء إلى العامية هربا من وصمة الجهل بقواعد العربية الفصحى وعدم إحسانهم لها، مع أنهم محسوبون من المثقفين الذين يفترض فيهم أن يجيدوا لغة أمتهم، وهم بذلك يجدون في العامية بلاشك مخرجاً من المواقف الحرجة التي لايرضونها لأنفسهم. وكم من متحدث سمعناه وهو يقدم بين يدي حديثه الاعتذار عن أخطائه في اللغة ويلتمس من السامعين العذر في ذلك».

واللغة ليست أداة اتصال فحسب، ولكنها محتوى فكر ورصيد ثقافة، والعامية واستعمالها دليل[1] «تفكك اجتماعي ثم تفكك فكري ثم تفكك لغوي منحدر، وهذا هو منشأ اللهجات العامية المحلية تتجلى أعراضاً مرضية لاتعرفها الأمة في صحتها وقوتها ووحدتها».

ولاتزال هذه الأعراض مستمرة دائمة إلا إذا أخضعت للعلاج الدائم واتخذ الحزم القاطع في سبيل وقف أسبابها التي سببتها.

أثر ذلك في تحصيل الطلاب:

كان ضعف المدرس هو أساس ضعف الطالب ـ الذي أخذ اللغة على يد مدرس ضعيف فرضع الضعف من بدء تعلمه مع مدرس يلقنه العامية في شرحه وحديثه وكلامه ويبعد به عن الفصحى. والطفل بطبعه وفي مراحل تعليمه الأولى مقلد ماهر لأستاذه وهو يدخل المدرسة في سن الاكتساب والتكوين اللغوي المهم في حياته، وفي مرحلة من العمر يُحسن فيها محاكاة مايقع في أذنه من الكلام والمثل يقول: «العلم في الصغر كالنقش في الحجر». ودارسو اللغات الحديثة يرون أن:[2] «ثمة وجه آخر غريزي من أوجه اللغة هو أن هناك فترة حرجة لاكتساب اللغة، فقدرة الإنسان على التعلم تبلغ ذروتها في فترة تمتد تقريباً بين السنة الأولى والسادسة من عمر الإنسان. حيث

(١) من حاضر اللغة العربية، ص ١٦٠.

(٢) اللغة والحياة، ص ١٠٦.

www.mtenback.com

يبدو أن تعلم اللغة تحدده عوامل فطرية أكثر من أي شكل من أشكال التعلم البشري».

وهي مرحلة خطيرة في اكتساب اللغة مهملة في عمر الطفل العربي وقلما ينال الأطفال العرب فيها أي اهتمام ينمي قدرتهم على الاكتساب الفصيح للغة. في هذه السنين لايسمعون غير العامية لغة البيت ولغة الأتراب في الشارع. أما في آخر هذه المرحلة التي حدد فيها ترسيخ ملكة الاكتساب السريع فإن الطفل ينتقل إلى أولى الخطوات المقننة للاكتساب المعرفي، ويبدأ الدراسة المنتظمة ويدخل عالما آخر بتشوق فيه إلى كل جديد وأهم ذلك اللغة التي يتوقع أن تكون لغة مختلفة عن لغته في البيت والشارع، ويبدأ في هذه المرحلة بالتقليد الواعي لأستاذه أولاً وزملائه الذين يلتقي بهم أول مرة وقد يكون فيهم من سبقه بعام أو عامين إلى الدراسة فلا يجد غير العامية، ومنظرو اللغات الحديثة يرون أنه[1] «من المرجح أنه لاتوجد فترة في تاريخ البشرية على الإطلاق لم يعترف فيها بأهمية المحاكاة في اكتساب اللغة بالتعلم فضلاً عن سائر النظريات الحديثة المتعلقة باكتساب اللغة التي تتفق على أن تنسب للمحاكاة دوراً بارزاً في جزء مامن أجزاء عملية اكتساب اللغة ولايستثنى عصرنا الراهن من ذلك».

ولعل هذا الجزء الذي أشار إليه النص السابق هو موضع إشكالية اللغة الفصحى إذ لايكون في صالحها حيث تكون عملية الاكتساب من لسان يلوك العامية ويتحدث بها فيصير اكتسابها سهلاً ميسوراً على الطفل ثم يعود إلى البيت ليسمع الجزء الآخر فلا يكون له مناص من الإغراق في العامية في المدرسة والبيت. ومرحلة الاكتساب هذه تمتد كما يقول المتخصصون في تاريخ اللغات مع نمو الطفل حتى يصل مرحلة البلوغ أي حتى يكمل التعليم العام كله ويصبح على مشارف الجامعة كما يقرر النص الآتي[2] «إن اكتساب الفهم بالتعليم يجب أن يسبق اكتساب التكلم بالتعلم. . . . هذا على الرغم مما نعرفه جيمعاً من أن قدرة الطفل على فهم لغته تسبق دائماً قدرته على تكلمها وهو موقف يستمر إلى سن البلوغ. . . ويمكن النظر إلى هاتين القدرتين

(١) اللغة والحياة والطبيعة البشرية، ص ١٢٤.

(٢) اللغة والحياة، ص ١٣٠.

www.mtenback.com

الإضافيتين في أحسن الأحوال بوصفهما امتدادين لبناء اللغة الهرمي فالأولى امتداد لمستواه الدلالي الأعلى والثانية امتداد لمستواه الصوتي» . .

وليس اكتساب اللغة في هذه المرحلة إيراديّاً بل تلقائيّاً يصير جزءاً من تكوينه اللغوي فلو كان اللسان الذي يسمع الطفل في الدارسة من ذي البدء كان اللسان الفصيح لتغير تكوينه اللغوي وحسن اكتسابه اللغة التي يتحدثها مدرسوه فهو بطبيعة سنه وصلته الطارئة مقلد ويود أن يعود إلى البيت بشيء جديد يختلف عما ألفه فيه من نمط الحديث وماعرفه من كلمات وجمل ومفردات ولهذا السبب يقول تشومسكي[1] «من أهم الحقائق التي تلفت النظر في اكتساب اللغة عند الطفل الدقة الفائقة التي يقلد فيها كلام من حوله فتتجاوز دقة التفاصيل الصوتية هذه مايستطيع البالغون إدراكه إن لم يمروا بتمرين خاص. . . . فمن الواضح أن الطفل يسمع من غير وعي، التفاصيل الصوتية الدقيقة التي ستصبح جزءاً من معرفته اللغوية وهي التفاصيل التي لن يكون باستطاعته الإحساس بها عندما يكبر» .

هذه القدرات عند الأطفال وهذه المواهب التي ولدت معهم لم تستطع مناهج التعليم في العالم العربي ولا الجامعي توظيفها توظيفاً صحيحاً يخدم مستقبل الطفل ومستقبل اللسان العربي الفصيح، بل هدرت وانحرفت إلى مهابط العامية على أيدي مدرسين لا تمكنهم قدراتهم وتأهيلهم على أن يقدموا مايشوق الطفل ويجذبه إلى التعلق باللسان الفصيح. وإنما يسمع مايكرر عليه في كل درس لغة عامية ضعيفة ترسبت في حسه اللغوي وأبعدته عن سماحة الطفولة التي «تميل إلى الدفق في الخارج بعفوية سمحاء فمن الخطأ والحالة هذه أن نضعها في غير مجرى السليقة وفي غير العفوية. . . ونعرضها للكد وللشد من أخطائنا التربوية»[2].

ومادام أن العامية تأخذ على المدرس وعلى الطالب منافذ الطريق ويكون الحوار والكلام فيها فإنه من غير الممكن أن تولد معجزة تجعل هؤلاء الأطفال بعد إكمال التعليم العام أو حتى بعد التخرج من الجامعة ومن أقسام اللغة العربية يقلعون عما عهدوه في كل سني دراستهم ومناهج تعليمهم وإنَّ تجاوز الطفل للمراحل الحرجة في

(١) اللغة ومشكلات المعرفة، ص ٣٥.

(٢) فلسفة اللغة. ص ٢٩٦.

www.mtenback.com

اكتساب اللغة وهو يستمع إلى عامية غالبة ويدرس في لغة عامية، ويعيش وسطاً عامياً حكم عليه في أن يبقى على هذا الحال وفي ذلك المحيط المتلاطم برطانة العامية وثقافتها. وبذلك يصدق عليه الرأي الذي يقول إن[1] «الظاهرة الخطيرة لأزمتنا اللغوية هي أن التلميذ كلما سار خطوة في تعلم اللغة العربية ازداد جهلاً بها ونفوراً منها وصدوداً عنها، وقد يمضي في الطريق التعليمي إلى آخر الشوط فيخرج من الجامعة وهو لايستطيع أن يكتب خطابا بسيطاً بلغة قومه، بل يتخصص في دراسة اللغة العربية حتى ينال أعلى درجاتها، ويعييه مع ذلك أن يملك هذه اللغة التي هي لسان قومه ومادة تخصصه، كل درس يتلقاه أبناؤنا في لغتهم العربية ينأى بهم عنها. ونرى أن اللغات الأخرى يتعلمها أبناؤها في مدارسهم العامة فيكسبون من كل درس معرفة جديدة بأسرار لغتهم».

إن ظاهرة الشكوى من ضعف تحصيل الطلاب للغات وضعفهم في تعلمها ظاهرة عامة لا تنفرد بها اللغة العربية الفصحى من بين اللغات، ولا ينفرد بها الطلاب العرب من بين الأمم. إلا أن كل لغة يحرص أهلها على بقائها واستمرارها يراودهم الخوف عليها فيحتاجون في كل حين إلى إصلاح مايطرأ من ضعف أو نقص أو تقصير ويتلمسون أسباب ضعفها ويسعون بين فينة وأخرى في تطوير مناهجها ووسائل تعليمها وطرق تدريسها، ويستعملون أحدث التقنيات في سبيل إيضاح غامضها وتقريب بعيدها إلى الأذهان ويرتقون بها إلى مكانتها التى يودون أن تصل إليها.

واللغة كائن حي متطور يجب تعهده بأسباب الحياة ومداومة تحسس ضعفه أو شكواه وعلاج مايؤثر على سلامته وقوته ولاشك أن عمر اللغة العربية الطويل وموروثها الضخم ومكانتها المقدسة وحاضرها أو بالأصح حاضر أهلها الذي تعرفونه كل ذلك يحتاج إلى أطباء مهرة ونطاسيين عباقرة.

كما أنها تحتاج إلى عاطفة رؤوم تحبها وتعيد لها مكانتها في نفوس أبنائها والثقة التي كانت لها وكانت زادها في رحلتها الطويلة ولازالت تحتاج إلى هذا الزاد زاد المحبة وزاد

---

(١) لغتنا والحياة، ص ١٩١.

www.mtenback.com

الثقة وزاد الإيمان بأنها الموحد الذي بقي للعرب والجامع الذي لم تفرقه الأهواء، ولله الحمد، حتى هذه اللحظة.

وأود أن أكـون متفائلاً ومستبشراً في أن حاضر اللغة العربية الفصحى خير من ماضيها القريب وأنها في سبيل النهوض المتجدد وما عرضته هذه الورقة أو ماقد تعرضه الأوراق الأخرى ماهو إلا من قبيل الحرص على اللغة وتحسس الطارىء في حياتها الغريب عليها ثم القضاء عليه وإبعاده حتى لايؤثر بها.

وحالنا الذي نشكو منه ليس خاصّاً بنا وحدنا بل هو عام في كل الأجيال المعاصرة التي نعرف بعض شكواها من ناشئتها كما نشكو نحن، وتلك الشكوى العامة من الضعف الظاهر على الأجيال المعاصرة في اكتساب اللغة لها أسباب كثيرة منها في رأيي مانسميه اجبارية التعليم أي أن جميع الأطفال فيما بين سن السادسة والسابعة عشرة يلزمـون في الـدراسة ويرغمون عليها كما هو معروف، ولهذا فإن نسبة الضعف في تحصيل الطلاب أمر معقول إذا أخذنا بالحسبان الأعداد الهائلة التي تجبر على دخول المدارس العامة في تلك السن.

وإذا أُخِذَت نسبة المتميزين وهم سيكونون قلة أمام الأعداد الكثيرة غير المتميزة كان فارق النسبة هو مانحكم عليه بظاهرة الضعف العامة في كل الأجيال وفي جميع اللغات وهو أمر مقبول ومعقول أيضاً.

ولكن موضوع الشكوى وظاهرة الضعف الذي نشكو منه نحن العرب خاصة في اللغة العربية الفصحى ليس الضعف فحسب ولاتحصيل الطلاب بشكل عام وهو مايشـاركنـا به العالم من حولنا بل أداة التعلم ووسيلته، فنحن نُعَلِّمُ اللغة العربية الفصحى بالعامية وبين الفصحى والعامية ماتعلمون من الفوارق. إذن وسليتنا في تعليم اللغة العربية الفصحى هي موضوع النقاش وهو ما أرى أننا مطالبون في هذه النـدوة أن نبحث له عن حل ونجتهد في البحث وقد حمَّلنا مدرس اللغة إزر ذلك الضعف وجعلناه سبباً له، والأولى بنا أن نبحث عن مايساعد المدرس على أن يقوم بواجبه ويؤدي أمانته ويتبدل الضعف عنده قوة والعجز استطاعة إن شاء الله.

www.mtenback.com

وأظن أن تحقيق شيء مما يأتي يساعد على مانحن في سبيل بحثه وعلاجه:

أولاً: عدم التسامح باستعمال اللهجة العامية في التدريس وعدم الاستنامة إلى سهولتها وعدم اتخاذها أداة للمخاطبة في التعليم حتى لاتفقد اللغة العربية الفصحى مكانتها في نفوس أبنائها ويضعف احترامها، ويصير البديل العامي والدارج مقبولاً أو شبه مقبول أو متفق عليه ضمناً أو مسكوت عنه، وإذا حصل ذلك لم يعد للعربية الفصحى مجال ولااحترام. وتهاون بحقها المدرس والطالب. وفقدت عندئذ القيمة العلمية التي كانت لها في نفوس الناس، وفقدت الاحترام الذي وقر لها على مدى التاريخ ومع كل الأجيال الماضية وفي كل الحقب الخوالي.

ثانياً: النظر في وضع مدرسي التعليم العام وفي مناهج الكليات التربوية ومعاهد التأهيل التي تخرج هؤلاء المدرسين والاجتهاد بوضع المنهج الملائم الصالح لما يعدون له، والتركيز على تنمية قدرة الخطاب والتكلم بالفصحى، واستظهار قدر صالح من آثار الفصحى من شعر ونثر حتى يعين ذلك المدرس على الاقتداء بما يحفظ عندما يتحدث إلى طلابه أو عندما يستعمل العربية في لغة التدريس ويكون التعليم الجامعي امتداداً لما سبقه من بداية يجب أن تكون قوية.

ثالثاً: انتقاء المتميزين من المدرسين والمبرزين منهم وتكليفهم بتدريس اللغة العربية وآدابها، ومتابعتهم بعد التخرج وتنمية مواهبهم ومعارفهم وتعهدهم على مدى سني الدراسة مهما طال الزمن بهم وتحديث معلوماتهم في كل عام.

رابعاً: المطالبة الجادة بجعل لغة التدريس هي اللغة الفصحى في جميع مراحل الدراسة من الابتدائية حتى التخرج من الجامعة، وإجبار كل مدرس على استعمال اللغة الفصحى في كل التخصصات مهما كان موضوع التخصص وفي أي مرحلة كان وتنحية من لم يلتزم بذلك من كادر المدرسين.

خامساً: تنبيه أهل الثراء والجاه الذين بدأوا ينشرون باللغة العامية إلى خطورة مايقدمون عليه عندما يكتبون دواوين الشعر العامي ويطلبون من الناس دراسة تلك الدواوين والكتابة عنها وتحليلها والثناء عليها والتمجيد لها. لاسيما أثرياء الخليج والجزيرة العربية وبيان واجبهم نحو احترام لسان قومهم ومكان لغتهم العربية. وقطع

www.mtenback.com

دابر التفكير بتدريس مادة ما يسمونه بالأدب الشعبي في الجامعات والمؤسسات العلمية.

سادساً : توجيه نداء للحكومات العربية يطالبهم بوجوب المحافظة على سلامة اللغة الفصحى واحترامها واتخاذها لغة الدواوين والمخاطبات الرسمية في كل المجالات وحمايتها من مزاحمة اللغات الأجنبية لها.

سابعاً : مخاطبة رؤساء تحرير الصحف والمجلات في دول الخليج والجزيرة العربية خاصة، وبيان خطر مايحدث من تخصيص صفحات للغة العامية في مطبوعاتهم ونشر ذلك على القراء. وبيان أن واجبهم الديني والوطني ووظيفتهم التثقيفية في المجتمع ورسالتهم في تقوية أواصر وحدة أمتهم كل ذلك يحتم عليهم احترام اللغة العربية الفصحى، ورفع مستوى ذوق القارىء العادي وتنمية مداركه اللغوية والرقي به إلى المستوى الذي يليق به وأن يبين لهم أن إلهاء القارىء بالصفحات العامية واشغاله بها تخلٍّ عن مهمة الصحافة الوطنية ونقصٌ في إدراكها لواجبها.

www.mtenback.com

المراجـــع

الفصحى، ونظرية الفكر العامي :

مرزوق بن صنيتان بن تنباك. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م. مطابع الفرزدق، بالرياض.

فلسفة اللغة :

كمال يوسف الحاج. الطبعة: ١٩٦٧م. دار النهار للنشر، بيروت.

لغتنا والحياة :

عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطىء» الطبعة: ١٣٩١هـ - ١٩٧١م. دار المعارف بمصر.

اللغة والحياة والطبيعة البشرية :

روي، سي، هجمان ترجمة: داود حلمي أحمد السيد. الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

اللغة والمجتمع، رأي ومنهج :

محمود السعران. الطبعة الثانية - ١٩٦٣م دار المعارف.

اللغة ومشكلات المعرفة :

نعوم تشومسكي :
ترجمة حمزة قبلان المزيني الطبعة الأولى - ١٩٩٠م. توبقال - الدار البيضاء.

من حاضر اللغة :

سعيد الأفغاني الطبعة الثانية ١٩٧١م. دار الفكر.

www.mtenback.com